# قيام العلماء الربانيين بمسئولياتهم وصبرهم على البلاء في سبيل الحق

(( يضم اليها قصة حسد الأقران وخاصة الإمام البخاري في سمرقند))

# (( ويضم ايضا ذم علماء السوء وفقهاء السلاطين والأئمةِ المضلِّينَ الذين باعوا دينهم بدنياهم وعلمهم بمناصبهم ))

# فتوى يحيى ابن زكريا عليه السلام وقول الحق الذي كان ثمنه قطع رأسه

ورد عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: قتل يحيى بن زكريا في زانية كانت جارية. رواه الحاكم موقوفاً، وصححه، ووافقه الذهبي.

وقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية تفصيل هذا الخبر، فذكر أن بعض ملوك ذلك الزمان بدمشق كان يريد أن يتزوج ببعض محارمه، أو من لا يحل له تزويجها، فنهاه يحيى عن ذلك، فبقي في نفسها منه، فلما كان بينها وبين الملك ما يحب منها، استوهبت منه دم يحيى، فوهبه لها فبعثت إليه من قتله.

# موقف الإمام سعيد بن المسيّب مع هشام بن اسماعيل

عَنْ يحيى بن سعيد ، قَالَ : كَتَبَ وَالِي الْمَدِينَةِ إِلَى عبد الملك بن مروان أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ قَدْ أَطْبَقُوا عَلَى الْبَيْعَةِ للوليد وسليمان إِلَّا سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ ، فَكَتَبَ أَنِ اعْرِضْهُ عَلَى السَّيْفِ فَإِنْ مَضَى وَإِلَّا فَاجْلِدْهُ خَمْسِينَ جَلْدَةً وَطُفْ بِهِ أَسْوَاقَ الْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا قَدِمَ الْكِتَابُ عَلَى الْوَالِي دَخَلَ سليمان بن يسار وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَسَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، فَقَالُوا : إِنَّا قَدْ جِئْنَاكَ فِي أَمْرٍ ، قَدْ قَدِمَ فِيكَ كِتَابٌ مِنْ عبد الملك بن مروان إِنْ لَمْ تُبَايِعْ ضُرِبَتْ عُنُقُكَ ، وَنَحْنُ نَعْرِضُ عَلَيْكَ خِصَالًا ثَلَاثًا فَأَعْطِنَا إِحْدَاهُنَّ فَإِنَّ الْوَالِيَ قَدْ قَبِلَ مِنْكَ أَنْ يُقْرَأَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ فَلَا تَقُلْ لَا وَلَا نَعَمْ ، قَالَ : فَيَقُولُ النَّاسُ بَايَعَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ . مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ، قَالَ : وَكَانَ إِذَا قَالَ" لَا" لَمْ يُطِيقُوا عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ نَعَمْ ، قَالَ: مَضَتْ وَاحِدَةٌ وَبَقِيَتِ اثْنَتَانِ قَالُوا : فَتَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ فَلَا تَخْرُجُ إِلَى الصَّلَاةِ أَيَّامًا فَإِنَّهُ يَقْبَلُ مِنْكَ إِذَا طُلِبْتَ فِي مَجْلِسِكَ فَلَمْ يَجِدْكَ ، قَالَ : وَأَنَا أَسْمَعُ الْأَذَانَ فَوْقَ أُذُنِي حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ، قَالُوا مَضَتِ اثْنَتَانِ وَبَقِيَتْ وَاحِدَةٌ قَالُوا : فَانْتَقِلْ مِنْ مَجْلِسِكَ إِلَى غَيْرِهِ فَإِنَّهُ يُرْسِلُ إِلَى مَجْلِسِكَ فَإِنْ لَمْ يَجِدْكَ أَمْسَكَ عَنْكَ ، قَالَ : فَرَقًا لِمَخْلُوقٍ ، مَا أَنَا بِمُتَقَدِّمٍ لِذَلِكَ شِبْرًا ، وَلَا مُتَأَخِّرٍ شِبْرًا ، فَخَرَجُوا وَخَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ صَلَاةِ الظُّهْرِ فَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ فِيهِ فَلَمَّا صَلَّى الْوَالِي بَعَثَ إِلَيْهِ فَأُتِيَ بِهِ فَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَتَبَ يَأْمُرُنَا إِنْ لَمْ تُبَايِعْ ضَرَبْنَا عُنُقَكَ ، قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ بَيْعَتَيْنِ . فَلَمَّا رَآهُ لَا يُجِيبُ أُخْرِجُ إِلَى السُّدَّةِ فَمُدَّتْ عُنُقُهُ وَسُلَّتْ عَلَيْهِ السُّيُوفُ فَلَمَّا رَآهُ قَدْ مَضَى أَمَرَ بِهِ فَجُرِّدَ فَإِذَا عَلَيْهِ تُبَّانُ شَعْرٍ ، فَقَالَ : لَوْ عَلِمْتُ أَنِّي لَا أُقْتَلُ مَا اشْتَهَرْتُ بِهَذَا التُّبَّانِ فَضَرَبَهُ بِهِ خَمْسِينَ سَوْطًا ثُمَّ طَافَ بِهِ أَسْوَاقَ الْمَدِينَةِ فَلَمَّا رَدَّهُ وَالنَّاسُ مُنْصَرِفُونَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ ، قَالَ : إِنَّ هَذِهِ لَوُجُوهٌ مَا نَظَرْتُ إِلَيْهَا مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً. قَالَ محمد بن القاسم : وَسَمِعْتُ شَيْخَنَا يَزِيدُ فِي حَدِيثِ سعيد بِإِسْنَادٍ لَا أَحْفَظُهُ أَنَّ سعيدا لَمَّا جُرِّدَ لِيُضْرَبَ ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ لَمَّا جُرِّدَ لِيُضْرَبَ : إِنَّ هَذَا لَمَقَامُ الْخِزْيِ ، فَقَالَ لَهَا سعيد : مِنْ مَقَامِ الْخِزْيِ فَرَرْنَا . وفيات الأعيان 2/377 وسير أعلام النبلاء 4/231 والحلية 2/170

\* (إِنَّ هَذِهِ لَوُجُوهٌ مَا نَظَرْتُ إِلَيْهَا مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً) لأنه كان لا ينظر الى قفا رجل في الصلاة. اذ كان يصلي في الصف الأول ولم تفته تكبيرة الاحرام رحمه الله تعالى.

\* وعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ : أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يُجَالِسَهُ قَالَ : إِنَّهُمْ قَدْ جَلَدُونِي وَمَنَعُوا النَّاسَ أَنْ يُجَالِسُونِي .

\* وعَنْ عبد الرحمن بن حرملة ، قَالَ : مَا كَانَ إِنْسَانٌ يَجْتَرِئُ عَلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى يَسْتَأْذِنَهُ كَمَا يُسْتَأْذَنُ الْأَمِيرُ .

\* وعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، قَالَ : مَنِ اسْتَغْنَى بِاللَّهِ افْتَقَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ .

# موقف الإمام الشافعي ومحنته مع حُسَّاده والوشاةِ به

تعرَّض الإمام الشافعي لمحنة في أوساط عمره كادت أن تُغيِّر مسار حياته بالكلية وتلقيه في طيِّ النسيان وغياهب السجون، حيث لا ذِكْر ولا أثر إلا من جدران الزنازين، وأما عن سبب محنته فيلخصها لنا تلميذه الأنجب الإمام أحمد بن حنبل عندما سأله بعض طلبة العلم عن سبب هجوم البعض على الإمام الشافعي، إذ قال: "لقد منَّ الله علينا به، لقد كنَّا تعلمنا كلام القوم، وكتبنا كتبهم، حتى قدم علينا، فلما سمعنا كلامه، علمنا أنه أعلم من غيره، وقد جالسناه الأيام والليالى، فما رأينا منه إلا كلَّ خير، واعلموا حكم الله تعالى أنَّ الرجل من أهل العلم إذا منحه الله شيئاً من العلم وحرمه قرناءه وأشكاله، حسدوه فرمَوه بما ليس فيه، وبِئْست الخصلة في أهل العلم".

الإمام الشافعي كان أعلم أهل عصره بلا منازع، وفي نفس الوقت كان شريف النسب، جميل الصورة، بهيَّ الطلعة، مما جعله موضع حسد الناس، وقد بدأت محنته عندما كان قاضياً باليمن وقد صار أحدوثة اليمن مما جعل حُسَّاده يسعون في حقه عند الخليفة العباسيِّ هارون الرشيد، وكان الذي سعى بالوشاية ضد الشافعيِّ رجلٌ للأسف يُنسب لأهل العلم اسمه مطرف بن مازن دفعه الحسد والغيرة المذمومة للسَّعي في حقِّ الإمام الشَّافعيّ ، والتُّهمة كانت في غاية الخطورة، وهي قيادةُ تنظيمٍ شيعيٍّ باليمن لقلب نظام الحكم، وهي تُهمة كفيلةٌ بإزهاق روح الإمام أو حبسه لأجلٍ غير مسمى على أقلِّ تقدير، لذلك لما وصل الكلام للخليفة الرشيد أمر على الفور بالقبض على الشافعيِّ وكلِّ من ورد اسمه في وشاية الكذاب مطرف بن مازن، وذلك في سنة 183 هجرية.

حُمل الشَّافعيّ ومن معه مُكبَّلين بالحديد والأغلال من اليمن إلى مدينة ( الرقة) في شمال بلاد العراق حيث مقرُّ إقامة الخليفة العباسي هارون الرشيد، ولنا أن نتخيل حجم المعاناة والألم البدني والنفسي الشديد الذي تعرَّض له الإمام الشافعي من جراء تلك الرحلة الطويلة الشاقة من أقصى الجنوب لأقصى الشمال، وهو بريء لا ذنب له.

استعدَّ الشافعي لمواجهة كافة التهم الموجهة إليه، فانتضى سيف بلاغته، وركب فرس حجته، فما إن أُدخل على الخليفة الرشيد، حتى انطلق برائع بيانه يكشفُ بطلان ما وُجِّه إليه من تهم وافتراءات، حتى خلب لُبَّ الرشيد بدفاعه البليغ، خاصة عندما قال له: ( أ أدع من يقول إنَّه ابن عمِّي –يقصد هارون الرشيد– وأتولَّى من يقول إنه خالقي ورازقي –يقصد إمام الشيعة الذي يُسبغ الشيعةُ عليه صفات القداسة" فانشرح صدرُ الرشيد، وطلب منه أن يُناظر الإمام محمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة في بعض المسائل، فأظهر الشافعيُّ براعة علمية فائقة فأمر الرشيد له بجائزة كبيرة تُقدر بخمسة آلاف دينار بمثابة رد اعتبار لذلك الإمام المظلوم وتبرئة لساحته أمام الناس.

كانت تلك المحنة فاتحةَ خير على الإمام الشافعي، وسبباً لانتشار علمه وتكوين مذهبه وقيام مدرسته الفقهية، حيث ظلَّ بالعراق ولم يَعُد إلى اليمن، إلا لجلب أهله وحاجاته ثم عاد إلى العراق لينتشرَ ذكره وأثره وعلمه، وتتهافت عليه الطلبةُ ويقبل عليه الناس، فأين حاسدُه ومبغضه الذي أراد إسكاتَ صوته وخنق علمه وفقهه في بلاد اليمن؟ ولكنها سُنَّه الله الماضية: أن يبوء الحاسدُ والحاقد بالخسران والندامة، ويُعلي الله -عز وجلَّ- شانَ أهل العلم الرَّبَّانيِّين على مرِّ العصور.

وفي سنة 198هـ ينتقلُ الشَّافعيُّ إلى مصر ليواصلَ نشر علمه، وتُقابله محنةٌ أخرى تمثلت في عداوة تلاميذ الإمام مالك له بسبب خوفهم من اندثار مذهبهم حتى إنهم كانوا يَدْعون عليه في صلواتهم بالموت، وبجانب ما كان يُعانيه الشَّافعيّ من مِحَن بسبب الحسد والغيرة، وآثار التهمة القديمة بالتشيع والرفض، كان الشافعي يُعاني من محنة أخرى تُعتبر علامة من علامات محبة الله عز وجل، وهي محنة مرضه المزمن بالبواسير الشديدة التي سبَّبت له آلاماً مبرحة ونزيفاً مستمراً للدِّماء حتى إنه كان لا يحدث أو يؤلف أو يقرأ القرآن إلا وتحته لبد أو طست من شدَّة النَّزف. وظلَّ مرضه يتعالى عليه حتى أورثه ضعفاً، لا يكادُ يقوى أن يقف أو يجلس معه، وكان تلميذه يونس بن عبد الأعلى حسنَ الصوت بالقرآن الكريم، فكان كلَّما دخل يعوده يقول له: يا يونس لا تغفل عني بقراءتك فإني مكروب، وذلك من شدَّة آلامه وأوجاعه، حتى مات صابراً محتسباً وهو في الرابعة والخمسين من عمره، فرحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة. (ملتقى أهل الحديث، محنة الإمام الشافعي.شريف عبدالعزيز الزهيري) (سير أعلام النبلاء. حلية الأولياء. تاريخ بغداد. البداية والنهاية. الكامل في التاريخ. وفيات الأعيان. تذكرة الحفاظ. طبقات الشَّافعيّة)

# موقف الإمام طاووس مع هشام بن عبد الملك

قال أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب " الألقاب " إن اسمه ذكوان، وطاووس لقبه وإنما لقب به لأنه كان طاووس القراء، والمشهور أنه اسمه.

[وحكي أن هشام بن عبد الملك قدم حاجاً إلى بيت الله الحرام، فلما دخل الحرم قال: إيتوني برجل من الصحابة، فقيل: يا أمير المؤمنين قد تفانوا، قال: فمن التابعين، فأتي بطاووس اليماني، فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بإمرة المؤمنين ولم يكنه وجلس إلى جانبه بغير إذنه وقال: كيف أنت يا هشام؟ فغضب من ذلك غضباً شديداً حتى هم بقتله، فقيل: يا أمير المؤمنين أنت في حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لا يمكن ذلك، فقال له: يا طاووس، ما حملك على ما صنعت؟ قال: وما صنعت؟ فاشتد غضبه له وغيظه وقال: خلعت نعليك بحاشية بساطي، ولم تسلم علي بإمرة المؤمنين، ولم تكنني، وجلست بإزائي بغير إذني، وقلت: يا هشام كيف أنت! قال: أما خلع نعلي بحاشية بساطك فإني أخلعها بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات فلا يعاتبني ولا يغضب علي؛ وأما ما قلتَ: لم تسلم علي بإمرة المؤمنين فليس كل المؤمنين راضين بإمرتك فخفت أن أكون كاذباً؛ وأما ما قلت: لم تكنني فإن الله عز وجل سمى أنبياءه، قال: يا داود يا يحيى يا عيسى، وكنى أعداءه فقال: "تبت يدا أبي لهب وتب" وأما قولك: جلست بإزائي، فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: "إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام" فقال له: عظني، قال: إني سمعت أمير المؤمنين رضي الله عنه يقول: "إن في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته" ثم قام وخرج. وفيّات الأعيان 2\510.

\* ابن جريج قال، قال لي عطاء: جاءني طاووس فقال لي: يا عطاء، إياك أن ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه، وعليك بطلب حوائجك إلى من بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة، طلبك أن تدعوه ووعدك الإجابة.

\* وقال عبد الله بن طاووس: قال لي أبي: يا بني صاحب العقلاء تنسب إليهم وإن لم تكن منهم، ولا تصاحب الجهال فتنسب إليهم وإن لم تكن منهم، واعلم أن لكل شيء غاية، وغاية المرء حسن عقله] وفيّات الأعيان 2\510.

# موقف الإمام طاووس مع المنصور

روي أن أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور استدعى عبد الله بن طاووس ومالك بن أنس رحمهما الله تعالى، فلما دخلا عليه أطرق ساعة، ثم التفت إلى ابن طاووس، وقال له: حدثني عن أبيك فقال: حدثني أبي "أن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله تعالى في سلطانه فأدخل عليه الجور في حكمه" فأمسك أبو جعفر ساعة؛ قال مالك: فضممت ثيابي خوفاً أن يصيبني دمه. ثم قال له المنصور: ناولني تلك الدواة، ثلاث مرات، فلم يفعل، فقال له: لم لا تناولني؟ فقال: أخاف أن تكتب بها معصية فأكون قد شاركتك فيها، فلما سمع ذلك قال: قوما عني! قال: ذلك ما كنا نبغي. قال مالك: فما زلت أعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم.تذكرة الحفاظ 1\160. وفيات الأعيان 2\511.

# موقف الإمام الحسن البصري مع الحجاج بن يوسف الثقفي

وروي أن الحجاج بني دارا بواسط، وأحضر الحسن؛ ليراها، فلما دخلها قال : الحمد لله، إن الملوك ليرون لأنفسهم عزا، وإنا لنرى فيهم كل يوم عبرا، يعمد أحدهم إلى قصر فيشيده وإلى فرش فينجده وإلى ملابس ومراكب فيحسنها، ثم يحف به ذباب طمع وفراش نار وأصحاب سوء، فيقول : انظروا ما صنعت! فقد رأينا أيها المغرور فكان ماذا يا أفسق الفاسقين؟! أما أهل السموات فقد مقتوك، وأما أهل الأرض فقد لعنوك، بنيت دار الفناء، وخربت دار البقاء، وغررت في دار الغرور؛ لتذل في دار الحبور. ثم خرج وهو يقول : إن الله -سبحانه- أخذ عهده على العلماء؛ ليبينه للناس، ولا يكتمونه. وبلغ الحجاج ما قال، فاشتد غضبه، وجمع أهل الشأم فقال : يأهل الشأم، أيشتمني عبد من عبيد أهل البصرة وأنتم حضور فلا تنكرون! ثم أمر بإحضاره، فجاء وهو يحرك شفتيه بما لم يسمع حتى دخل على الحجاج فقال : يا أبا سعيد، أما كان لإمارتي عليك حق حين قلت ما قلت. فقال : يرحمك الله أيها الأمير إن من خوفك حتى تبلغ مأمنك أرفق بك وأحب فيك ممن أمنك حتى تبلغ الخوف. وما أردت الذي سبق إلى وهمك والأمران بيدك العفو والعقوبة، فافعل الأولى بك، وعلى الله فتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فاستحيا الحجاج منه، واعتذر إليه، وأكرمه وحباه. وفي رواية أخرى: فلما دخل قال له الحجاج : ها هنا. فأجلسه قريبا منه، وقال : ما تقول في علي، وعثمان؟ قال : أقول قول من هو خير مني عند من هو شر منك، قال فرعون لموسى { قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ( 52 ) } علم علي، وعثمان عند الله. قال : أنت سيد العلماء يا أبا سعيد. ودعا بغالية وعلف بها لحيته، فلما خرج تبعه الحاجب، فقال له : ما الذي كنت قلت حين دخلت عليه؟ قال : قلت : يا عدتي عند كربتي، ويا صاحبي عند شدتي، ويا ولي نعمتي، ويا إلهي وإله آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب ارزقني مودته، واصرف عني أذاه. ففعل ربي عز وجل.(جمهرة خطب العرب (2/494-495)

# موقف الإمام أبي حنيفة مع المنصور

أشخص أبو جعفر أمير المؤمنين أبا حنيفة فاراده على أن يوليه القضاء فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل، فحلف المنصور ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل، فقال الربيع الحاجب ألا ترى أمير المؤمنين يحلف! فقال أبو حنيفة: أمير المؤمنين على كفارة أيمانه أقدر مني على كفارة أيماني، وأبى أن يلي، فأمر به إلى الحبس في الوقت. والصحيح أنه توفى وهو في السجن.

\* قال خارجة دعا أبو جعفر أبا حنيفة إلى القضاء فأبى عليه فحبسه، ثم دعا به يوما فقال أترغب عما نحن فيه؟ قال أصلح الله أمير المؤمنين لا أصلح للقضاء، فقال له كذبت! قال ثم عرض عليه الثانية، فقال أبو حنيفة قد حكم علي أمير المؤمنين أني لا أصلح للقضاء لأنه ينسبني إلى الكذب، فان كنت كاذبا فلا اصلح، وإن كنت صادقا فقد أخبرت أمير المؤمنين أني لا أصلح.

\* قال الربيع بن يونس رأيت أمير المؤمنين المنصور ينازل أبا حنيفة في أمر القضاء وهو يقول: اتق الله ولا ترعى أمانتك إلا من يخاف الله، والله ما أنا بمأمون الرضى فكيف أكون مأمون الغضب! ولو اتجه الحكم عليك ثم هددتني أن تغرقني في الفرات أو ان تلي الحكم لاخترت ان أغرق، ولك حاشية يحتاجون إلى من يكرمهم لك. [ تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي (13/328)] وفيات الأعيان 5\407.

# موقف الإمام سفيان الثوري مع الخليفة المهدي

قال سفيان الثوري: لما حج المهدي قال: لا بد لي من سفيان، فوضعوا لي الرصد حول البيت ، فأخذوني بالليل. فلما مثلت بين يديه قال لي: لأي شيء لا تأتينا فنستـشيرك في أمرنا؟ فما أمرتنا من شيء صرنا اليه وما نهيتنا عن شيء انتهينا عنه. فقلت له : كم انفقت في سفرك هذا؟ قال: لا أدري، لي أمناء ووكلاء. قلت: فما عذرك غدا اذا وقفت بين يدي الله تعالى فسألك عن ذلك؟ لكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما حج قال لغلامه كم أنفقت في سفرنا هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين ثمانية عشر دينارا. فقال: ويحك اجحفنا بيت مال المسلمين! وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ربَّ مُتخوِّضٍ فيما شاءت نفسُه في مالِ اللهِ ومالِ رسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم له النَّارُ يومَ القيامةِ)

فقال أبو عبيد الكاتب: أمير المؤمنين يستقبل بمثل هذا؟ فأجابه سفيان: اسكت، انما اهلك فرعون: هامان!! أي انت وأمثالك من بطانة السوء. (وفيات الأعيان 2/387).

# موقف ثان لسفيان الثوري

في يوم قال الخليفة المهدي للخيزران: أريد أن أتزوج, فقالت له: لا يحلّ لك أن تتزوج عليّ, قال: بلى, قالت له: بيني وبينك من شئت.

قال: أترضين سفيان الثوري؟ قالت: نعم. فوجه الى سفيان فقال: انّ أم الرشيد تزعم أنه لا يحل لي أن أتزوج عليها وقد قال تعالى:{ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع} ثم سكت, فقال له سفيان أتم الآية, يريد قوله تعالى:{ فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة}, وأنت لا تعدل. فأمرله بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها. وفيات الأعيان 2\389.

# موقف ثالث لسفيان رحمه الله

دخل على أبي جعفر المنصور, وسأله أن يرفع اليه حاجته فأجابه: اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا, فطأطأ المنصور رأسه، ثم أعاد السؤال عليه, فأجابه: انما نزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار, وأبناؤهم يموتون جوعا, فاتق الله وأوصل اليهم حقوقهم, فطأطأ المنصور ثم رفع، فقال: ارفع إلينا حاجتك، فقال: حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ فقال لخازنه كم أنفقت؟ قال بضعة عشر درهما، وأرى هاهنا أموالا لا تطيق الجمال حملها، ثم خرج. ( الاحياء ج5 ص 120)

# موقف الامام مالك مع جعفر بن سليمان

سعي بالامام مالك الى جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وهو ابن عم أبي جعفر المنصور وقالوا له: انه لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشيء, فغضب جعفر ودعا به وجرّده وضربه بالسياط, ومدت يده حتى انخلعت كتفه وارتكب منه أمرا عظيما, فلم يزل بعد ذلك الضرب في علو ورفعة. وذكر ابن الجوزي في (شذور العقود) في سنة سبع وأربعين ومائة وفيها ضرب مالك بن أنس سبعين سوطا لأجل فتوى لا توافق غرض السلطان. وفيات الأعيان 4\137.

# موقف الإمام العز بن عبد السلام مع نجم الدين أيوب

وصل العز بن عبد السلام إلى مصر سنة 639هـ، فلقيه في مصر الملك الصالح أيوب، فاستقبله استقبالاً حافلاً، وأكرمه غاية الإكرام والإجلال، وعيّنه في أعلى المناصب في خطابة جامع عمرو بن العاص وقضاء القضاة.

يوصف الصالح أيوب بأنه كان طموحاً، فعندما أراد أن يُقوِّيَ جيشَه ويَصطفيَ قُوَّادَه ويَحميَ نفسَه، اشترى (من مال الدولة) المماليك الأتراك، واستجلبهم من أواسط آسيا وغربها، ودَرَّبهم على الفروسية والفُتوَّة والقتال، حتى نالوا ثقته، فاتسع نفوذهم حتى صاروا أمراءَ الجيش وقادتَه، وبلغ أحدُهم أن صار نائب السلطان مباشرة، فلما تولى العز منصب قاضي القضاة، اكتشف الخلل في الإدارة والسلطة، وأن القادة الأمراء لا يزالون في حكم الرق لبيت مال المسلمين، ولم يَثبُتْ عند الشيخ أنهم أحرار، وبالتالي فإن الحكمَ الشرعي عدمُ صحة ولايتهم من جهة، وعدمُ نفوذ تصرفاتهم الخاصة والعامة من جهة أخرى. ومع ذلك، فإن العز لم يُشهر بهم، ولم يرفع راية العصيان المسلح عليهم، وإنما بلّغهم ذلك أولاً، وأوقف تصرفاتهم ثانياً، «ولم يصحح لهم بيعاً ولا شراءً ولا نكاحاً، وتعطلت مصالحهم بذلك، وكان من جملتهم نائب السلطان»، فلما بلغهم ذلك عظم الخطب عليهم، واضطرب أمرهم، واستشاطوا غضباً، وثارت ثائرتهم، ولكنهم كبحوا جماح الغضب، وجاؤوا للعز بالحسنى والمساومة، واجتمعوا به للاستفسار عن مصيرهم في رأيه، فصمم على حكم الشرع وأنه يجب بيعهم لصالح بيت المال، ثم يتم عتقهم ليصبحوا أحراراً، ثم يتولوا تصريف الأمور، وقال لهم «نعقد لكم مجلساً، ويُنادى عليكم لبيت مال المسلمين، ويحصل عتقكم بطريق شرعي»، فرفضوا واستكبروا، ولم ينفردوا باتخاذ القرار بشأن العز، فرفعوا الأمر إلى السلطان أيوب، فبعث إليه وراجعه، فلم يرجع، فجرت من السلطان كلمةٌ فيها غلظة على العز، وحاصلها الإنكار على الشيخ في دخوله في هذا الأمر الذي لا يعنيه ولا يتعلق به.

وهنا أدرك العز أن الأمراء تمالؤوا عليه، ووقفوا في وجه ما يعتقد أنه الحق وتطبيق الشرع، فأعلن الانسحاب، وعزل نفسه عن القضاء، وقرر الرحيل، ونفذ قراره فوراً، فحمل أهله ومتاعه على حمار، وركب حماراً آخر، وخرج من القاهرة. وما أن انتشر الخبر في الشعب إلا وأعلن الناس الوقوف بجانب العز، وقرروا العصيان غير المسلح بالالتحاق بالعز، فلم يصل العز خارج القاهرة إلا قليلاً حتى لحقه غالب المسلمين من العلماء والصلحاء والتجار، حتى النساء والصبيان. فقال قائل للسلطان: «أدرك ملكك، وإلا ذهب بذهاب الشيخ»، فركب السلطان بنفسه، ولحق بالشيخ العز، واسترضاه وطيَّبَ قلبه، وطلب منه الرجوع والعودة إلى القاهرة، فوافق العز على شرطه بأن يتمّ بيع الأمراء بالمناداة عليهم، ورجع الجميع إلى القاهرة.

وبعد ذلك حاول نائب السلطنة التدخل بالملاطفة، ثم بالتهديد والوعيد، ثم بمحاولة التخلص من الشيخ وقتله، فلما فشلت محاولاته، أذعن الأمراء للأمر، واستسلموا لحكم الشرع، وأُعلنَ المزادُ العام، ووقف العز ينادي على أمراء الدولة واحداً واحداً، ويغالي في ثمنهم، وتدخّل الشعب في المزايدة، حتى إذا ارتفع السعر إلى أقصى غايته وعجز الأفراد عنه قام السلطان أيوب بدفع الثمن من ماله الخاص، ليتملك الأرقاءَ الأمراءَ، ثم أعتق رقابهم فصاروا أحراراً، واحتفظ بهم قادة، وقبض الشيخ العز الثمن فوضعه في بيت مال المسلمين ليُصرف في شؤونهم العامة ووجوه الخير المختلفة، قال ابن السبكي: «وهذا لم يُسمع بمثله عن أحد رحمه الله تعالى ورضي عنه». طبقات الشافعية الكبرى، ج8 ص216

# موقف الإمام العز بن عبد السلام مع الصالح اسماعيل

• في سنة 639هـ تحالف الصالح إسماعيل مع الصليبيين ضد ابن أخيه نجم الدين أيوب، وأعطاهم نظير ذلك مدينة صيدا الساحلية، وقلعة الشقيف، وأباح لهم دخول دمشق؛ وذلك لأول مرة منذ اشتعال الحملات الصليبية، وأباح لهم شراء السلاح والمؤن، وكان العز بن عبد السلام وقتها خطيب الجامع الأموي، ومفتي الشافعية، ورأس علماء دمشق، فصعد الشيخ العز على منبر الجامع يوم الجمعة، وألقى خطبة نادرة: أفتى فيها بحرمة البيع والشراء مع الصليبين، وشدد على التحريم، وأنكر على الصالح إسماعيل فعلته، وفي آخر الخطبة ترك الدعاء للصالح إسماعيل كما هي العادة، وقال بدلاً من ذلك قولته الشهيرة التي صارت مثلاً سائرًا، ودعاءً متداولاً: اللهم أبرم لهذه الأمَّة أمر رشد يُعز فيه أهل طاعتك، ويُذل فيه أهل معصيتك، ويُؤمر فيه بالمعروف، ويُنهى فيه عن المنكر.كان الدعاء في الخطبة للصالح إسماعيل بمثابة إعلان خلعٍ وعزلٍ من قبل العز بن عبد السلام، فاستشاط الصالح إسماعيل غضبًا، وقامت قيامته، وعزل الشيخ العز عن الخطابة والإفتاء، وأمر باعتقاله، فأخذ الغضب يسري في أوساط الشعب الدمشقي الذي كره الصالح إسماعيل وجرائمه، وكان للصالح إسماعيل وزير سوء يزين له كل جرائمه - وهو غزال المسلماني - فنصحه باستمالة الشيخ العز بن عبد السلام، وإغرائه بإرجاعه لكافة مناصبه الدينية من خطابة وإفتاء، مع امتيازات أخرى، وذلك نظير خضوع العز بن عبد السلام للصالح إسماعيل، وتقبيله ليده في محضر عام من الناس. فلما جاء الرسول للشيخ العز بن عبد السلام برسالة الصالح إسماعيل جاءت إجابته غرة على جبين العلم والعلماء، ومفخرة لكل عالم رباني عبر العصور تتناقلها الأجيال، حيث قال للرسول: يا مسكين، ما أرضاه أن يُقَبلَ يدِي فضلاً أن أقبل يده، يا قوم أنتم في واد، والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به. وعندها أمر الصالح إسماعيل باعتقاله مرة أخرى، والتشديد عليه. استعد الصالح إسماعيل للخروج من دمشق بصحبة الصليبين للهجوم على مصر، وأخذها من ابن أخيه نجم الدين أيوب، ولكنه خاف من وجود الشيخ العز في دمشق، وتخوف من قيام الناس بإخراجه من السجن، وثورتهم عليه، فاصطحب الشيخ العز معه في معسكره مع الصليبين، وفي الطريق وقعت عدة كرامات للشيخ، وأثنى عليه الصليبيون كثيرًا، حتى قال كبيرهم للصالح إسماعيل: لو كان هذا الشيخ قسيسنا لغسلنا رجليه، وشربنا مرقتها. وبعد أن أعيت الصالح إسماعيل السبل، وفشلت كل ضغوطه على الشيخ العز بن عبد السلام، قرر أن ينفيه عن بلاد الشام كلها، فخرج الشيخ العز بن عبد السلام، ومعه أبو عمرو الحاجب شيخ المالكية، وكان مثله في العلم والصدع بالحق، وتوجه الإمامان إلى بلاد مصر ليبدآ فصلا جديدًا من العزة، وأيضًا المحنة.

# محنته في مصر

• خرج الشيخ العز بن عبد السلام من دمشق باتجاه مصر، فلما مر بمدينة الكرك تلقاه صاحبها "الناصر داود"، وطلب منه الإقامة عنده فقال له الشيخ العز: بلدك صغير على علمي، وهكذا يبرهن الشيخ العز على مدى اعتزازه بعلمه، وبمنزلة العلماء وقدرهم؛ فهو كان يؤكد في كل مرة، وفي كل موطن على مكانة العلم والعلماء، وقيادتهم للأمة. توجه الشيخ إلى القاهرة، وهناك تلقاه السلطان نجم الدين أيوب، وأحسن استقباله وقدَّر مواقفه التي أبداها بالشام، وولاه خطابة جامع عمرو بن العاص وقضاء الوجه القبلي، وانبسط الشيخ، وأخذ في التدريس والإفتاء، وكان أول من تصدى لعمل التفسير في الجامع على شكل دروس يومية، والتف حوله الناس وطلبة العلم والعلماء، والشيخ مستمر على حاله: من الصدع بالحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاحتساب على السلطان نفسه فما دونه، حتى هابه الجميع. شيئًا فشيئًا ثَقلت وطأة الشيخ العز على الأمراء والأعيان، ورجال الدولة الذين لم يعجبهم وجود مثل ذلك الشيخ، الذي أحيا شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الناس؛ ووصلت قوة الشيخ وجرأته في الحق إلى أن يسقط عدالة وشهادة نائب السلطان: الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، بسبب قيامه ببناء طبلخانة - دار للطبول التي تدق أوقات الصلوات، وخروج السلطان - على ظهر جامع بالقاهرة، وقد ظل الأمير فخر الدين ساقط الشهادة حتى مات، حتى إن الخليفة العباسي المستعصم ببغداد رفض رسالة جاءته من السلطان نجم الدين أيوب بسبب أن مؤدي الرسالة هو الأمير فخر الدين، وبعد تلك الحادثة عزل الشيخ نفسه عن القضاء. (طبقات الشافعية: 8/ 214) (البداية والنهاية 13/ 264) (العبر للذهبي: 5/ 260) (شذرات الذهب: 5/ 302) (تراجم أعلام السلف: 621) (سيرة العز بن عبد السلام/ شريف بن عبدالعزيز الزهيري)

Top of Form

Bottom of Form

# موقف الإمام النووي مع الظاهر بيبرس

وقال بعضهم: لما خرج السلطان الظاهر بيبرس إلى قتال التتار بالشام، أخذ فتاوى العلماء بأنه يجور له أخذ مال من الرعية ليستنصر به على قتال العدو، فكتب له فقهاء الشام بذلك، فقال: هل بقى أحد؟ فقيل: نعم، بقي الشيخ محيى الدين النووي، فطلبه فحضر، فقال: أكتب خطك مع الفقهاء، فامتنع فقال: ما سبب امتناعك. فقال: أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير بندقدار، وليس لك مال. ثم من الله عليك، وجعلك ملكاً. وسمعت أن عندك ألف مملوك، كل مملوك له حياصة من ذهب، وعندك مائتا جارية، لكل جارية حق من الحلي، فإذا أنفقت ذلك كله، وبقيت المماليك بالبنود الصوف بدلاً عن الحوائص، وبقيت الجواري بثيابهن دون الحلي، أفتيتك بأخذ المال من الرعية. فغضب الظاهر من كلامه، وقال: اخرج من بلدي - يعني دمشق - فقال: السمع والطاعة! وخرج إلى نوى، فقال الفقهاء: عن هذا من كبار علمائنا وصلحائنا، وممن يقتدى به، فأعده إلى دمشق، فرسم برجوعه. فامتنع الشيخ، وقال: لا أدخلها والظاهر بها. فمات الظاهر بعد شهر. (حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة/ السيوطي ج1 ص248)

# موقف الإمام ابن تيمية مع غازان

زحف غازان التتري وجيشه من إيران نحو حلب. وفي وادي سليمة يوم 27 ربيع الأول سنة 699 التقى جمع غازان بجمع الناصر بن قلاوون, وبعد معركة حامية الوطيس هزم جمع الناصر وولى الجند والأمراء الأديار, ونزح أعيان دمشق إلى مصر يتبعون سير الناصر, حتى خلت دمشق من حاكم أو أمير أو أعيان البلاد, لكن شيخ الاسلام ابن تيمية بقي صامدا مع عامة الناس فاجتمع شيخ الاسلام مع من بقي من أعيان البلاد, واتفق معهم على تولي الأمور, وأن يذهب هو على رأس وفد من الشام لمقابلة غازان. فقابله في بلدةٍ ما وقد دارت بينهما مناقشة عنيفة. قال البالسي: قال الشيخ ابن تيمية لغازان وترجمانه يترجم كلام الشيخ: أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض وإمام وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا, فغزوتنا وبلغت بلادنا على ماذا؟ وأبوك وجدك كانا كافرين وما غزوا بلاد الإسلام بعد أن عاهدونا, وأنت عاهدت فغدرت, وقلت فما وفيّت، وجرى مع ابن تيمية وغازان أمور قام بها ابن تيمية كلها لله, ثم قرب غازان إلى الوفد طعاما فأكلوا إلا ابن تيمية فقيل له: ألا تأكل؟ فقال: كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتوه من أغنام الناس وطبختوه بما قطعتم من أشجار الناس؟

وغازان مصغٍ لما يقول الشيخ شاخص إليه لا يعرض عنه, وإن غازان من شدة ما أوقع في قلبه من الهيبة والمحبة قال من هذا الشيخ؟ إني لم أر مثله, ولا أثبت قلبا منه, ولا أوقع من حديثه في قلبي ولا رأيتني أعظم انقيادا لأحد منه؟ فأخبر بحاله, وما هو عليه من العلم والعمل. ثم طلب منه غازان الدعاء. فقام الشيخ يدعو فقال اللهم إن كان عبدك هذا يقاتل لتكون كلمتك العليا وليكون الدين كله لك, فانصره وأيّده, وملّكه البلاد والعباد, وإن كان قد قام رياء وسمعة وطلبا للدنيا ولتكون كلمته هي العليا ليذل الاسلام وأهله فاخذله وزلزله ودمّره واقطع دابره, وغازان يؤمّن على دعائه ويرفع يديه. قال البالسي: فجعلنا نجمع ثيابنا خوفا من أن نتلوّث بدم ابن تيمية اذا أمر بقتله, فلما خرجنا من عنده قال قاضي القضاة نجم الدين وغيره: كدت تهلكنا وتهلك نفسك, والله لا نصحبك من هنا, فقال: وإني والله لا أصحبكم! قال البالسي: فانطلقوا عصبة وتأخر هو في خاصة نفسه ومعه جماعة من أصحابه, فتسامعت به الخواتين والأمراء وأصحاب غازان فأتوه يتبرّكون بدعائه وهو سائر إلى دمشق, ووالله ما وصل إلى دمشق إلا في نحو ثلاثمائة فارس في ركابه، وكنت أنا من جملة من كان معه, وأما أولئك الذين أبوا أن يصحبوه, فخرج عليهم جماعة من التتار فشلحوهم- أي سلبوهم ثيابهم وما معهم-. مختصر منهاج السنة للذهبي ص332

# موقف الإمام أحمد بن حنبل ومحنته من أجل الثبات على الحق

\* قال أبو غالب بن معاوية ضُرب أحمد بن حنبل بالسَّياط في الله فقام مقام الصِّدِّيقين في العشر الأواخر من رمضان سنة عشرين ومائتين .

\* أُخذ أحمد بن حنبل في محنة خلق القرآن أيام المأمون ، ليحمل إلى المأمون ببلاد الروم وأُخذ معه أيضا محمد بن نوح مقيدين ومات المأمون قبل أن يلقاه أحمد فردَّ أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح في أقيادهما، فمات محمد بن نوح في الطريق ورُد أحمد إلى بغداد مقيداً .

\* دخل على الإمام أحمد حفاظ أهل الحديث بالرقة وهو محبوس فجعلوا يذُاكرونه ما يروى في " التَّقِيَّةُ " من الأحاديث فقال أحمد كيف تصنعون بحديث خباب ( إنه كان قبلكم كان ينشر أحدكم بالمنشار ثم لا يصده ذلك عن دينه؟) فيئسوا منه .

\* قال الإمام أحمد : كنت أصلى بأهل السجن وأنا مقيد ووضعوا في رجله أربعه قيود ، ولما مات المأمون رُدَّ أحمد إلى بغداد فسُجن إلى أن امتحنه المعتصم .

\* قال أحمد : لست أُبالي بالحبس ماهو ومنزلي إلا واحد، ولا قتلاً بالسيف إنما أخاف فتنة السَّوط .

\* وروي عن عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه كان يقول : كنت كثيراً أسمع والدي أحمد بن حنبل يقول : رحم الله أبا الهيثم ، فقلت : من أبو الهيثم؟ قال : أبو الهيثم الحداد لما مُدت يدي إلى العقاب وأُخرجتُ للسياط إذا أنا بإنسان يجذب ثوبي من ورائي ويقول لي : تعرفني ؟ قلـت : لا . قال أنا أبو الهيثم العيار اللص الطرار ، مكتوب في ديوان امير المؤمنين أني ضُربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا فاصبر أنت في طاعة الرحمن لأجل الدين .

\* قال أبو بكر المروزي : لَّما سجن أحمد بن حنبل جاء السجان فقال له يا أبا عبد الله: الحديث الذي روي في الظلمة وأعوانهم صحيح؟ قال الإمام أحمد : نعم: قال السَّجَّان : فأنا من أعوان الظلمة ؟ قال الإمام أحمد فأعوان الظلمة من يأخذ شعرك ويغسل ثوبك ويصلح طعامك ويبيع ويشتري منك، فأما انت فمن الظلمة أنفسهم .

\* مكث الإمام أحمد منذ أن أخذ وحمل إلى أن ضرب وخليّ عنه ثمانية وعشرين شهراً .

\* قال المزني رحمه الله: عصم الله الأمة بأبي بكر يوم الردة، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة.

\* قال بشر الحافي: قام أحمد مقام الأنبياء، وأحمد عندنا امتحن بالسراء والضراء؛ فكان فيهما معتصمًا بالله.

\* فقد صحَّ أن الإمام احمد كان يصلِّي في كلِّ يوم ثلاثمائة ركعة، قال ابنه عبدالله: فلَّما جُلِد كان يصلِّي مائة وخمسين ركعة.

\* يقول بشر بن الحارث: "لولا هذا الرجل –يعني: الإمام أحمد- لكان العار علينا إلى يوم القيامة" يقول الله تعالى:{الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّـهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت:1-3]، وقال ربنا سبحانه وتعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ} [محمد:31]

قال المروذيّ للإمام أحمد وهو يقدم للجلد والعذاب: "يا أبا عبدالله، قال الله جل وعلا: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ} [النساء من الآية:29]، فقال الإمام أحمد: يا مروذي أخرج فانظر أي شيء ترى، قال: فخرجت إلى رحبة دار الخلافة، فرأيت خلقًا من الناس لا يحصي عددهم إلا الله عز وجل، والصحف في أيديهم، والأقلام والمحابر في أدرعتهم، فقال لهم المروذي: أي شيء تعملون؟ فقالوا: ننظر ما يقول أبو عبدالله فنكتبه، فقال المروذي: مكانكم، فدخل إلى الإمام أحمد فقال: لقد رأيت قومًا بأيديهم الصحف والأقلام ينتظرون ما تقول فيكتبونه، فقال الإمام أحمد: يا مروذي، أُضل هؤلاء كلهم؟ أقتل نفسي ولا أُضل هؤلاء".

قال إسحاق بن حنبل -عم الإمام أحمد-: "دخلت على أبي عبدالله مع حاجبِ إسحاق الذي يقال له البخاري، فقلت: يا أبا عبدالله قد أجاب أصحابك، وقد أعذرتَ فيما بينك وبين الله عز وجل، وقد أجاب القوم، وبقيت أنت في الحبس والضيق، فقال الإمام أحمد: يا عمي، إذا أجاب العالم تقيّة والجاهل يجهل فمتى يتبين الحق!؟"

# عالمان يتقاسمان إسما واحدا، أحدهما رباني تقي وعالم بالله تعالى وهو الإمام احمد بن حنبل [164](https://ar.wikipedia.org/wiki/164%D9%87%D9%80)-[241ه](https://ar.wikipedia.org/wiki/241%D9%87%D9%80)  /[780](https://ar.wikipedia.org/wiki/780)-[855م](https://ar.wikipedia.org/wiki/855)

# والثاني حسود حقود ومؤلب الحكام على سجن العلماء واعتقالهم وقتلهم وهو أحمد بن أبي داؤد ولد سنة [160هـ](https://ar.wikipedia.org/wiki/160%D9%87%D9%80)/[776م](https://ar.wikipedia.org/wiki/776)

هو أبو عبيد الله أحمد بن أبي دؤاد الإيادي ، قاضي الفتنة ومسعرها الذي يرى نفسه رأس الاعتزال وإمام المتكلمين، وقد هزم في كل موطن أمام الإمام أحمد بن حنبل فامتلأ قلبه حقداً وحسداً على الإمام وعمل على إجباره بشتى الوسائل على القول بخلق القرآن. كان أبوه تاجراً يجوب الأفاق، فوفد إلى العراق وحمل معه ولده أحمد فاشتغل هناك بالعلم ولكنه التقى بهياج بن العلاء السُلمي وكان من تلاميذ واصل بن عطاء فأعجب به وأخذ عنه الاعتزال وأعجبته نفسه فتعمق في الاعتزال حتى صار رأساً من رؤوسه، وكان في نفسه متناقضاً فقد اشتهر بالجود والكرم والمروءة. قال عنه الصولي 'لم يكن بعد البرامكة أكرم منه ولولا ما وضع من نفسه من محبة المحنة لاجتمعت عليه الإنس. وكان مشهوراً بالأدب والفصاحة وولى القضاء لثلاثة خلفاء المعتصم , الواثق , المتوكل. وكان يحب مكارم الخصال ويعطي عليها ولكنه كان فاسد العقيدة خبيث الطوية. ويقال أن كل خصاله هذه كانت مصطنعة ليروج ويمدح عند الناس فيسهل عليه بذلك نشر بدعته الضالة.

\* ظل المأمون معتنقًا لهذه العقيدة الضالة، وزين له أحمد بن أبي دؤاد وبشر المريسي أن يجبر العلماء؛ وذلك بقوة الدولة، وحد التهديد والوعيد، وفي سنة 218هـ أمر المأمون العباسي قائد شرطة بغداد العاصمة إسحاق بن إبراهيم أن يجمع كبار الفقهاء والعلماء والمحدثين، ويمتحنهم في القول بخلق القرآن، وقرأ عليهم كتاب المأمون الذي يفيض بالتهديد والوعيد، والعزل من المناصب لمن يرفض القول بخلق القرآن، وبدأت فصول المحنة العظمى التي تحمل الإمام أحمد بن حنبل وحده عبئها، والوقوف في وجه أربابها ودعاتها. (الدرر الشامية، القسم العلمي)

وقد ذم الشعراء ابن أبي داؤود الذين أدركوا حقيقة مذهبه فقال بعضهم فيه :

نكست الدين يا ابن أبي دؤاد ... فأصبح من أطاعك في ارتداد

زعمت كلام ربك كان خلقـاً ... أمـا لك عند ربك من معـاد؟

# لقد تسبب ابن أبي داؤود في إيذاء كثير من أقرانه من العلماء والمشايخ والدعاة والأئمة وأهل الدين

\* تسبب في حبس الإمامين البويطي تلميذ الشافعي ونعيم بن حماد الخزاعي حتى ماتا بالسجن تحت وطأة التعذيب .

\* عزل كل العلماء والقضاة المنتسبين للسنة من مناصبهم خاصة تلاميذ الإمام أحمد بن حنبل وعهد بتلك المناصب لأتباعه من المعتزلة .

\* كان ممن سعى واشترك في قتل إمام السنة أحمد بن نصر الخزاعي أيام الخليفة الواثق لميل الناس لأحمد بن نصر .

\* عمل على نشر بدعته الكفرية بشتى الوسائل بين الناس حتى أنه قد بلغ في ذلك أبعد المنازل بأنه قد أقنع الخليفة الواثق، وكان أشد خلفاء بني العباس ضلالاً في باب العقائد بأن يمتحن أسارى المسلمين لدى الروم فمن قال بخلق القرآن فك أسره ومن قال بغير ذلك تركه أسيراً عند الروم .

ويصاب أحمد بن أبي دؤاد بمرض الفالج 'وهو الشلل' مدة أربع سنين وبقي طريحاً في فراشه لا يستطيع أن يحرك شيئاً من جسده وحرم كل لذات الدنيا وكان يقول عن مرضه 'إن لي شقاً لو قرض بالمقاريض ما شعرت به، وآخر لو وقعت عليه ذبابة فكأنه الجحيم' وقد دخل عليه بعضهم فقال: والله ما جئتك عائداً وإنما جئتك لأعزيك في نفسك، وأحمد الله الذي سجنك في جسدك الذي هو أشد عليك عقوبة من كل سجن، فزاده ذلك الكلام حزناً وغماً , وقد كان مرضه استفتاحًا من نفسه عليها عندما دعى على نفسه يوم أن قتل إمام السنة أحمد بن نصر فقال للخليفة الواثق : 'حبسني الله في جلدي إن كان قتله خطأ' فجاءت الإجابة الربانية على صدق السنة وضلال البدعة , وهلك الضال المبتدع في سنة 240هـ بعد أن عانى عناءا شديدا مع المرض فضلا عن الطرد من مناصبه.

\* قال المقدسيُّ في كتابه "محنة الإمام أحمد" بسنده إلى أبي علي حنبل قال: حضرتُ أبا عبدالله؛ أي: أحمد بن حنبل، وأتاه رجل في مسجدنا، وكان الرجل حسنَ الهيئة كأنَّه كان مع السلطان، فجلس حتى انصرف مَن كان عند أبي عبدالله، ثم دنا منه فرفعَه أبو عبدالله لما رأى من هيئته، فقال الرجل: يا أبا عبدالله، اجعلني في حلٍّ، قال أحمد: مِن ماذا؟ قال: كنتُ حاضرًا يومَ ضُرِبت، وما أعنتُ ولا تكلَّمت، إلاَّ أنِّي حضرت ذلك، فأطرق أبو عبدالله، ثم رَفَع رأسَه إليه فقال: أَحْدِث لله توبةً، ولا تَعُدْ إلى مثل ذلك الموقِف، فقال له: يا أبا عبدالله، أنا تائب إلى الله - تعالى - من السلطان، قال له أبو عبدالله: فأنت في حلٍّ، وكلُّ مَن ذَكَرني إلاَّ مبتدعًا، قال أبو عبدالله: وقد جعلتُ أبا إسحاق - المعتصم - في حلٍّ، ورأيتُ الله - عزَّ وجلَّ - يقول: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [النور: 22]، وأَمَر النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - أبا بكر بالعفو في قضية مِسْطح.

المراجع: • سير أعلام النبلاء: (11/ 177). • تاريخ بغدد: (4/ 412). • طبقات الحنابلة: (1/ 20). • وفيات الأعيان: (1/ 63). • البداية والنهاية: (10/ 367). • الكامل في التاريخ: (6/ 125). • النجوم الزاهرة: (2/ 304). • شذرات الذهب: (2/ 96). • حلية الأولياء: (9/ 161). • تذكرة الحفاظ: (2/ 431). • صفة الصفوة: (1/ 488) (الدرر الشامية، القسم العلمي)

عزة العلماء وكرامتهم وطلبهم الآخرة بعلمهم

قال الأصمعي: دخل عطاء بن أبي رَباحٍ على عبدالملك وهو جالسٌ على السرير، وحوله الأشراف، وذلك بمكة، في وقت حجه في خلافته، فلما بصر به عبدالملك، قام إليه، فسلم عليه، وأجلسه معه على السرير، وقعد بين يديه، وقال: يا أبا محمدٍ، حاجتك؟ قال: يا أمير المؤمنين، اتقِ الله في حرم الله، وحرم رسوله، فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار؛ فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور؛ فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين؛ فإنك وحدك المسؤول عنهم، واتق الله فيمن على بابك، فلا تغفُلْ عنهم، ولا تغلق دونهم بابك،فقال له: أفعل،ثم نهض، وقام، فقبض عليه عبدالملك، وقال: يا أبا محمدٍ، إنما سألتنا حوائج غيرك، وقد قضيناها، فما حاجتك؟ قال: ما لي إلى مخلوقٍ حاجةٌ،ثم خرج، فقال عبدالملك: هذا هو الشرف، هذا هو السؤدد؛ (تاريخ دمشق لابن عساكر جـ 40 صـ 386).

الوليد الموقري عن الزهري قال لي عبد الملك بن مروان من أين قدمت قلت من مكة قال فمن خلفت يسودها قلت عطاء قال أمن العرب أم من الموالي قلت من الموالي قال فيم سادهم قلت بالديانة والرواية قال إن أهل الديانة والرواية ينبغي أن يسودوا فمن يسود أهل اليمن قلت طاووس قال فمن العرب أو الموالي قلت من الموالي قال فمن يسود أهل الشام قلت مكحول قال فمن العرب أم من الموالي قلت من الموالي عبد نوبي أعتقته امرأة من هذيل قال فمن يسود أهل الجزيرة قلت ميمون بن مهران وهو من الموالي قال فمن يسود أهل خراسان قلت الضحاك بن مزاحم من الموالي قال فمن يسود أهل البصرة قلت الحسن من الموالي قال فمن يسود أهل الكوفة قلت إبراهيم النخعي قال فمن العرب أم من الموالي قلت من العرب قال ويلك فرجت عني والله ليسودن الموالي على العرب في هذا البلد حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها قلت يا أمير المؤمنين إنما هو دين من حفظه ساد ومن ضيعه سقط الحكاية منكرة والوليد بن محمد واه فلعلها تمت للزهري مع أحد أولاد عبد الملك وأيضا ففيها من يسود أهل مصر قلت يزيد بن أبي حبيب وهو من الموالي فيزيد كان ذاك الوقت شابا لا يعرف بعد والضحاك فلا يدري الزهري من هو في العالم وكذا مكحول يصغر عن ذاك.

قال عثمان بن عطاء الخراسانيّ : انطلقت مع أبي نُريد هشام بن عبدالملك فلما قَرُبنا إذا بشيخ على حمارٍ أسود عليه قميص دَنِس ، وجُبّةٍ دنِسة ، وقلنسوة لاطِئةٌ دنسة ، وركاباه من خشب ، فضحكتُ منه ، وقلت لأبي : مَن هذا الأعرابي!! قال : اسكت!! فهذا سيدُ فقهاء الحجاز عَطَاء من أبي رباح!! . فلما قرُبَ منا نزل أبي عن بغلته ، ونزل هو عن حماره ، فاعتنقا وتساءلا ، ثم عادا فركبا وانطلقا حتى وقفا على باب هشام ، فما استقرَّ بهما الجلوس حتى أذن لهما ، فلما خرج أبي قلتُ له : حدَّثني ما كان منكما . قال : لما قيل لهشام : إن عَطَاء بن أبي رباح بالباب أذِن له ، فوالله ما دخلتُ إلا بسببه . فلما رأه هشام قال : مرحبًا مرحبًا!! هَهُنا ، هَهُنا ، ولا زال يقول له : هَهُنا هَهُنا ، حتى أجلسه معه على سريره ، ومسَّ بركبته ركبته - وعنده أشرافُ الناس يتحدثون فسكتوا . فقال له : ما حاجتك يا أبا محمد ؟!! قال : يا أمير المؤمنين ، أهل الحرمين أهلُ الله وجيرانُ رسوله تُقَسَّم عليهم أرزاقهم وأعطياتهم . قال : يا غلام اكتب لأهل مكة والمدينة بعطاياهم وأزراقهم لِسنَة . ثم قال : هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ؟!! قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، أهلُ الحجاز وأهلُ نجد هم أصلُ العرب ، وقادةُ الإسلام ، تردُّ فيهم فضولَ صدقاتهم . قال : نعم . يا غلام اكتب بأن تُردّ فيهم فضول صدقاتهم . هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ؟!! قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، أهلُ الثغور يَرُدّون من ورائكم ، ويقاتلون عدوّكم ، تـُجرِي لهم أرزاقًا تدرّها عليهم ، فإنهم إن هلكوا ضاعت الثغور . قال : يا غلام ، اكتب بحمل أزراقهم إليهم . هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ؟!! قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، أهل ذمتكم لا يُكلَّفون ما لا يطيقون ، فإن ما تجبونه منهم معونة لكم على عدوكم . قال : نعم ، يا غلام ، اكتب لأهل الذمة بألا يكلَّفوا ما لا يطيقون!! هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ؟!! قال : نعم ، اتَّق الله في نفسك ، فإنك خُلِقتَ وحدك ، وتموت وحدك ، وتُحشر وحدك ، وتحاسَبُ وحدك ، ولا والله ما معك مِمن ترى أحد!! فأكبَّ هشام ينْكُث في الأرض ، وهو يبكي ، فقام عطاء . فلما كنا عند الباب إذا برجل قد تبعه بكيس لا أدري ما فيه ، فقال : إن أمير المؤمنين أمر لك بهذا . فقال : { وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ } ، فولله ما شرب عنده قطرة ماء .